المطلب الثاني

هل يمكن أن يتعارض العقل مع النقل؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد .

ففي المطلب السابق تحدثنا عن العقل وتعريفه، وما هي الغاية الرئيسية من وجوده؟ وما حدود المعرفة بالعقل؟ وما العتبات المطلقة للحواس الخمس؟

وبينا أن انعدام رؤية الأشياء يكون لسببين اثنين، ثم تناولنا الحديث عن العقل الصريح ومدارك اليقين، وبينا المقصود بمصطلح النقل عند علماء العقيدة، وكذلك بينا أن جملة النقل تمثلت في القرآن وما ثبت في السنة المطهرة، وأن النقل الصحيح كله حجة، يوجب تصديق الخبر وتنفيذ الطلب، وأنه لا يثبت إلا بقواعد المحدثين.

وفي هذا المطلب نتناول إن شاء الله الحديث عن قضية التعارض بين العقل والنقل، لما لها من أهمية كبيرة في تحديد هوية أهل السنة والجماعة وتمييزهم عن مخالفيهم. فهم يرون أنه من المحال أن يتعارض العقل الصريح الواضح مع النقل الصحيح الثابت، بل يرون أن العقل الصريح يشهد للنقل الصحيح ويؤيده.

ويرون أن السبب في ذلك سبب منطقي، وهو وحدة المصدر، فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، وهو سبحانه أعلم بصناعته لعقل الإنسان، وأعلم بما يصلحه في كل زمان ومكان، فإذا وضع نظاما ببالغ علمه وحكمته لصلاح صنعته، والتزم الإنسان بمنهجه وشرعته، كان من المحال أن يضل أو يشقى، أو يعيش معيشة ضنكا، إذا اتبع هداية الله.

ومعلوم عند سائر العقلاء أن أولى وأفضل من يضع نظام التشغيل للمصنوعات هو صانعها؛ ولذلك قال الله تعالى في شأن اتباع بني آدم لمنهجه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه: ١٢٤/١٢٦.

• العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح.

قال ابن تيمية رحمه الله: (كل ما يدل عليه الكتاب والسنة، فإنه موافق لصريح المعقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرا من الناس يغلطون، إما في هذا، وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به، كان عارفا بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول) [١].

وقال أيضا: (من قال بموجب نصوص القرآن والسنة، أمكنه أن

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٨٠.

يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها، ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح) [١].

وقال: (العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا يخالف بعضه بعضا، ولكن كثيرا من الناس يظن تناقض ذلك، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) [٢].

• الهداية الحقيقية في قيادة النقل الصحيح للعقل الصريح.

بين الله ﷻ أن الهداية الحقيقية تكمن في قيادة النقل الصحيح للعقل الصريح، أو بتعبير آخر تكمن في قيادة الوحي الذي يمثل منهج الإسلام ودستوره ونظامه للعقلاء من أصحاب الفطرة النقية، وكل من يحرص على السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. والأدلة على ذلك من كتاب الله كثيرة لا تكاد تحصى منها نذكر منها مما ورد في القرآن على سبيل المثال:

١. قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي

---

(١) السابق ٦/٥٢٥.

(٢) السابق ٧/٦٦٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الشورى: ٥١/ ٥٣.

ووجه الاستدلال أن الله ﷻ بعد أن بين وسائل انتقال الوحي، أو انتقال النقل الصحيح إلى الأنبياء، خاطب نبيه ﷺ مبينا أن هذا الوحي انتقل إليه كذلك، وأن الله ﷻ قد جعل هذا النقل الصحيح نورا يهدي العباد إلى أقوم سبيل لصلاح الإنسانية، وقس على ذلك وجه الاستدلال في النصوص.

٢. قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣.

٣. قول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾ ﴾ محمد: ١/ ٣.

٤. قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ المائدة: ٦٦.

٥. قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف:١٥٧.

٦. قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ الطلاق:١٠/١١.

٧. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ المائدة:١٥/١٦.

وقد بين النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن صلاح الإنسانية في اتباع دينه ومنهجه في الحياة، والممثل في النقل الصحيح، وأن سنته هي وحدها سبيل النجاة، ومن ذلك على سبيل المثال:

١. ما ورد في صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (كُل أُمَّتِي يدْخُلونَ الجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى، قَالوا: يا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[1].

---

(١) البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ٦/٢٦٥٥ (٦٨٥١).

٢. ما رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (خَط لنَا رَسُول اللهِ ﷺ خطا، ثم قَال: هَذَا سَبِيل اللهِ، ثمَّ خَط خُطوطاً عَنْ يمينِهِ وَعَنْ شِمَالهِ، ثمَّ قَال: هَذِهِ سُبُل، عَلى كُل سَبِيل مِنْهَا شَيطانٌ يدْعُو إِليهِ، ثمَّ قَرَأَ:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ الأنعام:١٥٣) [(١)].

٣. وعند البخاري ومسلم عن أبي سَعِيدٍ الخُدْري أنه قال: (جاء رَجُل إلى النبي ﷺ فقال: إِنَّ أَخِي اسْتَطلق بَطنُهُ، فقال رسول اللهِ ﷺ: اسْقِهِ عَسَلا، فَسَقَاهُ ثمَّ جَاءَهُ فقال: إني سَقَيتُهُ عَسَلا فلم يزِدْهُ إلا اسْتِطلاقًا، فقال له ثلاث مَرَّاتٍ، ثمَّ جاء الرَّابِعَةَ فقال: اسْقِهِ عَسَلا، فقال: لقد سَقَيتُهُ فلم يزِدْهُ إلا اسْتِطلاقًا، فقال رسول اللهِ ﷺ: صَدَقَ الله وَكَذَبَ بَطنُ أَخِيكَ، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ) [(٢)].

٤. وصح عند أحمد من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَان الأَنْصَارِي أن رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (ضَرَبَ اللهُ مَثلا صِرَاطا مُسْتَقِيمًا، وَعَلى جَنْبَتَي الصِّرَاط سُورَان، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفتَّحَةٌ، وَعَلى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلى بَابِ الصِّرَاط دَاعٍ يقُول: أَيهَا النَّاسُ ادْخُلوا الصِّرَاط جَمِيعًا وَلا

---

(١) المسند ١/٤٣٥ (٤١٤٢) وصححه الشيخ الألباني في تخريج شرح الطحاوية ص٥٨٧، ومشكاة المصابيح (١٦٦) .

(٢) رواه البخاري في الطب، باب الدواء بالعسل ٥/٢١٥٢ (٥٣٦٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل ٤/١٧٣٦ (٢٢١٧)، واللفظ لمسلم.

تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاط، فَإِذَا أَرَادَ يفْتَحُ شَيئًا مِنْ تِلكَ الأَبْوَابِ قَال: وَيحَكَ، لا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلجْهُ. وَالصِّرَاط الإِسْلامُ. وَالسُّورَان حُدُودُ اللهِ تَعَالى. وَالأَبْوَابُ المُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالى. وَذَلكَ الدَّاعِي عَلى رَأْسِ الصِّرَاط كِتَابُ اللهِ ﷻ. وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاط وَاعِظُ اللهِ فِي قَلبِ كُل مُسْلمٍ) [١].

• الضلال الحقيقي في قيادة النقل الباطل للعقل الصريح.

لا يمكن لعاقل يعلم أن صلاح الصنعة في اتباع نظام التشغيل الذي وضعه صانعها، لاسيما إن كان الصانع موصوفا بالعلم والخبرة وجودة الصنعة، ثم يعمد في تشغيلها إلى نظام بديل، لا علاقة له بالصنعة في قليل أو كثير، قد وضعه إنسان عاجز فقير، مهما ادعى أن نظامه ليس له في الأنام نظير، وأن طريقته في نظام التشغيل مبنية على التطور في الفهم، وعلى الحرية والتقدم والعلم! قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤ ﴾ الملك:١٤.

وكذلك لم نر عاقلا لديه صنعة قيمة في ذاتها، وقد دفع أموالا طائلة في شرائها، ثم عجز عن تشغيلها، أو ظن أنها قد تعطلت عن وظيفتها، وذهب في إصلاحها إلى غير وكيلها أو مصنعها. فإذا كان المسلم العاقل مقرا بذلك فيما يحدث بين البشر، فكيف يترك هداية الله

---

(١) رواه أحمد في المسند ١٨٢/٤ (١٧٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٩٤/٢ (٢٣٤٨) .

ويطلب هداية غير المسلمين في تشريعاتهم، ونظم حياتهم وأخلاقهم سلوكياتهم، ويستوردها من اليهود والنصارى والبوذيين وعباد الهوى في الشرق والغرب. قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ البقرة: ١٢٠.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ الكهف: ١٠٣/١٠٤. وقال: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ البقرة: ١٣٥/١٣٨.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ آل عمران: ٩٩/١٠١.

وعند البخاري من حديث أَبِي سَعِيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِي ﷺ

قَال: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لوْ سَلكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لسَلكْتُمُوهُ، قُلنَا: يا رَسُول اللهِ، اليهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَال: فَمَنْ) [١].

وروى البخاري من حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أن النَّبِي ﷺ قَال: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُون قَبْلهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيل: يا رَسُول اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَال: وَمَنْ النَّاسُ إِلا أُولئِكَ) [٢].

- **الوعيد الشديد لمن لم يلتزم بالنقل الصحيح.**

من المعلوم للعقلاء أن الصانع يضع شروطا دقيقة لضمان الصنعة ضد عيوب التشغيل، أو بمعنى آخر يضع شروطا دقيقة يلتزم فيها بأن صنعته لا يمكن أن تفسد إذا التزم المشتري في تشغيلها بدليل التشغيل، وإذا فسدت مع التزامه بالدليل، فإنه متكفل بإصلاحها، أو منحه منتجا جديدا بديلا عن سوء صنعته.

وغالبا ما يكون سبب فساد الصنعة كما نرى في واقعنا هو عدم الالتزام من قبل المشتري بدليل التشغيل، لاسيما إن كان المصنع معروفا بالجودة العالية، والتصنيع الدقيق الذي يدل على الكمال في

---

(٢) رواه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٢٧٤/٣ (٣٢٦٩).

(٣) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم ٢٦٦٩/٦ (٦٨٨٨).

الخبرة، والتقدم العلمي والتطور التكنولوجي.

ولا يمكن لمن أفسد الصنعة بسبب عدم التزامه بدليل التشغيل أن يطالب المصنع بإصلاح الصنعة مقابل أو تعويض، بل لابد أن يدفع التكلفة اللازمة لإصلاحها، فضلا عن إلزامه بأجر العاملين على إعادة تشغيلها.

وكذلك لم نر في واقع العمل مهندسا يدير مصنعا فيقصر في إدارته، ويتغافل عن متابعة أجهزته، ويعبث بها على ما يهواه حتى يفسدها، ويخرب المصنع لصاحبه، ثم لا يعاقبه صاحب المصنع بالحبس أو الغرامة، أو فقدان الوظيفة على سوء فعله وتقصيره، وعدم مراعاة مصلحته، أو مصلحة وكيله ومديره.

إذا كان ذلك معلوما واضحا في تعامل المخلوق مع المخلوق، فكيف نتعامى عند النظر إلى الإنسان الذي صنعه ملك الملوك، ووضع نظاما لحياته يسعده في الدنيا وبعد مماته، لاسيما أنه سبحانه عليم خبير ،غني بذاته عن كل مصلحة تعود عليه، وأنه ما وضع نظام الحياة للإنسان إلا لمصلحة تعود على الإنسان لا على ربه. هذا فضلا عن كون هذا الإنسان مستخلفا في أرض الله لا في أرضه، ومخولا من قِبَل الله في ملكه.

إذا كان ذلك معلوما واضحا لكل عقل صريح، ألا يستحق هذا الإنسان شديد العقاب لو أفسد صنعة الله، وظلم نفسه أو غيره باتباعه

نظاما باطلا من وضع إنسان عاجز فقير من أمثاله.

قال الله تعالى في بيان ما وضع من العقاب على مخالفة نظامه ومنهجه الشرعي: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ العنكبوت: ١٢/١٣. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الكهف: ٥٧.

وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤.

وقال سبحانه: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة: ٤٥.

وقال: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ البقرة:١٦٥/١٦٦.

وروى البخاري من حديث عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيرِ ﷺ أَنَّ رَجُلا مِنْ الأَنْصارِ خَاصَمَ الزُّبَيرَ ﷺ فِي شِرَاجٍ مِنْ الحَرَّةِ، يسْقِي بِهَا النَّخْل، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: اسْقِ يا زُبَيرُ، فَأَمَرَهُ بِالمَعْرُوفِ ثم أَرْسِل إِلى جَارِكَ، فَقَال الأَنْصَارِي: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلوَّنَ وَجْهُ رَسُول اللهِ ﷺ، ثمَّ قَال: اسْقِ ثمَّ احْبِسْ يرْجِعَ المَاءُ إِلى الجَدْرِ، واسْتَوْعَى لهُ حَقَّهُ، فَقَال الزُّبَيرُ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ الآية أُنْزِلتْ فِي ذَلكَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء:٦٥ [١].

وقال الله سبحانه: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران:٨٣ /٨٥.

---

(١) رواه البخاري في المساقاة، باب شرب الأعلى إلى الكعبين ٢/٨٢٣ (٢٢٣٣).

- **أسباب التعارض بين العقل والنقل.**

علمنا أنه من المحال أن يتعارض العقل الصريح الواضح مع النقل الصحيح الثابت، وأن السبب في ذلك سبب منطقي، وهو أن الذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده.

وأن كل ما ثبت من مسائل العقيدة في الكتاب والسنة يصدقها العقل الصريح، لأن العقل الصريح، لا يمكن أن يخالف المنقول الصحيح في دلالته، فالعقل والنقل وسيلتان لغايةٍ واحدةٍ هي الوصول إِلى الله، والوسائل التي تؤدِّي إِلى غاية واحدة، لا يمكن لها أن تتعارض.

قال ابن تيمية: (المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط، وقد تأملت ما تنازع فيه الناس، فوجدت ما خالف النصوص الصريحة شبهات فاسدة، يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع. وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك. ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه السمع الذي يقال إِنه يخالفه: إِما حديث موضوعٌ، أو دلالةٌ ضعيفةٌ، فلا يصلح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إِذا خالفه صريح المعقول. ونحن نعلم أن الرسل لا يخبِرون بمحالات العقول، بل

بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته) [١].

ومن ثم إذا تعارض العقل والنقل فذلك لسببين لا ثالث لهما: أحدهما: أن النقل لم يثبت عن رسول الله ﷺ. والآخر: أن العقل لم يفهم النقل ولم يدرك خطاب الله على النحو الصحيح. ولا بد من تفصيل ذلك لأهميته في معرفة أصول العقيدة.

- **السبب الأول للتعارض عدم ثبوت النقل.**

إذا تعارض العقل مع النقل فالسبب الأول في التعارض أن النقل لم يثبت فينسب مدعي التعارض إلى دين الله ما ليس منه، كالذين يتمسكون بأحاديث ضعيفة، أو موضوعة، وينقلونها للناس دون تمحيص.

فماذا يصنع العاقل إذا سمع خطيبا يذكر مرة حديثا يرفعه إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: (إِنَّ أَوَّل مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَال لهُ: اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى الأَبَدِ) [٢].

ثم يسمعه مرة أخرى يروى حديثا آخر يرفعه إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: (أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل. ثم قال: وعزتي

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٧، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر ٤/٢٢٥ (٤٧٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٨٠).

وجلالي ما خلقت خلقا أشرف منك) [(١)].

ثم يسمع خطيبا ثالثا يروي حديث يرفعه إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: (أول ما خلق الله نورى)؟ [(٢)].

لا شك أن العاقل يقف حائرا بين تلك الروايات، ويساءل أي الأشياء خلق أولا؟ وسيبعث ذلك في نفسه شكا. كما أنه من الخطأ التوفيق بين هذه الروايات قبل البحث عن ثبوتها. وكان يجب على من نقل هذه الروايات أن يتثبت من صحتها أولا.

وبالبحث وجد أن الحديث الأول ثابت صحيح ونصه مرفوع إلى رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَوَّل مَا خَلَقَ الله القَلمَ، فَقَال لهُ: اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى الأَبَدِ) .

أما الحديث الثاني وهو قوله: (أول ما خلق الله العقل). فموضوع باتفاق، كما ذكر العجلوني وغيره.

وأما الحديث الثاني وهو قوله: (أول ما خلق الله نورى). فهو حديث موضوع أيضا، رواه عبد الرزاق عن جابر بن عبد الله ﷺ،

---

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي (١/١٩٩)، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (١/١٢٠)، وكشف الخفاء للعجلوني ١/٣٠٩ (٨٢٣) نشر مؤسسة الرسالة، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/١٥٣)، قال ابن تيمية: والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

(٢) انظر كشف الخفاء ١/٣١١ (٨٢٧).

قال: (قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك، خلقه من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك، ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق، قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضيين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله ..) [(١)].

وعلى هذا المنوال تأتينا اختراعات الصوفية، والأباطيل العاطفية، وما شابه ذلك من الأمور البدعية، لتخرب العقيدة الإسلامية في نفوس أصحاب الفطرة النقية من عوام الأمة الإسلامية.

فأمثال هذه الأحاديث التي يتناقلها غير الراسخين في العلم وغيرهم، هي التي تحدث الفوضى، وتدعو إلى تعارض العقل مع

---

(١) انظر الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لعبد الحي اللكنوي (٤٢/١).

النقل، فالعقل الصريح لا يمكن أن يعارض النقل الصحيح.

وينبغي على أهل العلم أن يتقوا الله في نقلهم للأحاديث الضعيفة والموضوعة وإن كانت حجتهم أنها ترغب الناس في الإيمان والطاعة، فإن من أبرز السلبيات التي تظهر من ذلك فتح باب البدعة على مصراعيه، وتشويه الوحي بمصدريه القرآن والسنة.

وقد ذكر العلامة ابن القيم أمثلة كثيرة للأحاديث الموضوعة تبين منافاتها للعقل الصريح، فينبغي على الداعي أن يحذر منها. ومن أمثلة ما ينافي العقل من هذه الموضوعات:

١. الحديث المكذوب الذي فيه: (من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائرا، له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة، يستغفرون الله له) [(١)].

٢. وكذلك ما يروى في الحديث الموضوع: (إذا عطس الرجل عند الحديث فهو دليل صدقه) [(٢)].

قال ابن القيم: ولو عطس مئة ألف رجل عند حديث يروى عن النبي ﷺ لم يحكم بصحته بالعطاس، ولو عطسوا عند شهادة رجل لم

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ص٥٠ نشر مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، وكشف الخفاء للعجلوني ٢/٥٥٧ نشر مؤسسة الرسالة.

(٢) كشف الخفاء للعجلوني ٢/٥٥٧، واللؤلؤ المرصوع للقاوقجي ١/٣٦ (٣١) نشر دار البشائر الإسلامية بيروت، والأسرار المرفوعة ١/٤٢٦.

يحكم بصدقه [١].

٣. الحديث الموضوع الذي فيه: (الباذنجان شفاء من كل داء). قال ابن القيم: (قبح الله واضعه، فإن هذا لو قاله بعض جهلة الأطباء لسخر الناس منه، ولو أكل الباذنجان للحمى والبرد وكثير من الأمراض لم يزدها إلا شدة، ولو أكله فقير ليستغني لم يفده غنى، أو جاهل ليتعلم لم يفده العلم) [٢].

قال ابن الجوزي: (هذا حديث موضوع على رسول الله، فلا سقى الغيث قبر من وضعه، لأنه قصد شين الشريعة بنسبة رسول الله إلى غير مقتضى الحكمة والطب) [٣].

٤. الحديث الموضوع الذي فيه: (عليكم بالعدس فإنه مبارك، يرقق القلب ويكثر الدمعة قدس فيه سبعون نبيا) [٤].

وقد سئل عبد الله بن المبارك عن هذا الحديث؟ وقيل له إنه يروى عنك فقال: وعني؟! ما أرفع شيئا في العدس، إنه شهوة اليهود. ولو قدس فيه نبي واحد لكان شفاء من الأدواء، فكيف بسبعين نبيا؟ وقد

---

(١) المنار المنيف ص٥١.

(٢) السابق، وانظر اللآلئ المصنوعة للسيوطي (٢/١٨٩).

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (٢/٢٠٣) نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) رواه الطبراني في مسند الشاميين ١/٢٤٦ (٤٥٧)، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ١/١٦١، واللآلئ المصنوعة (٢/١٧٩)، والموضوعات (٢/١٩٧)، والسلسلة الضعيفة للألباني ٢/٦ (٥١٠).

سماه الله أدنى، وذم من اختاره على المن والسلوى، وجعله قرين الثوم والبصل [١].

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ البقرة: ٦١.

٥. الحديث الموضوع الذي فيه: (بئس البقلة الجرجير، من أكل منها ليلا بات ونفسه تنازعه، كلوها نهارا، وكفوا عنها ليلا) [٢].

٦. وكذلك ما يروى في فضل الديك الأبيض وغيره وينسبونه إلى رسول الله ﷺ كقولهم: (من اتخذ ديكا أبيض، لم يقربه الشيطان ولا السحر) [٣]. ومثله حديث مكذوب جاء فيه: (إن لله ديكا عنقه مطوية تحت العرش، ورجلاه في التخوم) [٤].

٧. الحديث الموضوع الذي فيه: (من ولد له مولود فسماه محمدا

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ص ٥٢.

(٢) الأسرار المرفوعة ٤٢٧/١، واللآلئ المصنوعة ١٨٨/٢، والموضوعات لابن الجوزي ٢٠١/٢، وكشف الخفاء للعجلوني ٥٥٨/٢.

(٣) المنار المنيف ص٥٥، والموضوعات لابن الجوزي (٢٠١/٢).

(٤) السابق ص٥٥، الأسرار المرفوعة٤٣١/١، والفوائد المجموعة ١٧٢/١، واللآلئ المصنوعة للسيوطي (١٩٣/٢).

تبركا، كان هو والولد في الجنة) [١].

٨. الحديث الموضوع الذي فيه: (ما من مسلم دنا من زوجته، وهو ينوي إن حبلت منه يسميه محمدا إلا رزقه الله ولدا ذكرا) [٢].

٩. ومن ذلك الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (إن الناس يوم القيامة يدعون بأمهاتهم لا بآبائهم) [٣]. والأحاديث الصحيحة ورد بخلاف ذلك. قال البخاري في صحيحه: باب يدعى الناس يوم القيامة بآبائهم ثم ذكر حديث: (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان) [٤]. وفي الباب أحاديث أخرى غير ذلك.

١٠. الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (من عشق فكتم، وعف فمات، فهو شهيد) [٥].

١١. الحديث الموضوع الذي فيه السؤال بحق محمد ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما

---

(١) السابق ص٦١.

(٢) السابق ص٦١.

(٣) الأسرار المرفوعة ١/٤٩٥، والمنار المنيف ص١٣٩.

(٤) رواه البخاري في الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم ٥/٢٢٨٥ (٥٨٢٣).

(٥) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني (٢/٣٦٤)، الأسرار المرفوعة ١/٣٥٢، وكشف الخفاء ٢/٣٤٥.

خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك) [(١)].

١٢. الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله) [(٢)].

١٣. الحديث الموضوع الذي جاء فيه: (يأتي على الناس زمان هم فيه ذئاب، فمن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب) [(٣)].

١٤. الحديث الموضوع الذي اشتهر على ألسنة الناس: (من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) [(٤)].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٣١٣/٦ (٦٥٠٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٦٧٢/٢ (٤٢٢٨) وقال الذهبي: موضوع، وانظر التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني ص١٠٥، ط ٣، المكتب الإسلامي بيروت.

(٢) قال الشيخ الألباني: موضوع، انظر السلسلة الضعيفة ١٠٥/١ (٣٢)، وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٤٩٣/١.

(٣) الموضوعات٢٧٣/٢، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢٤٥/٢، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لابن عراق (٢٩٤/٢).

(٤) كشف الخفاء ٣٢٠/٢، والموضوعات ١٢٨/٢، وتنزيه الشريعة (١٧٢/٢).

• السبب الثاني عدم فهم العقل للنقل.

إذا صح النقل ولم يفهمه العقل، فلا بد من تنزيه كلام الله ورسوله ﷺعن التضارب والخطأ، ورد العيب إلى قصور العقل في إدراك الفهم الصحيح، فإن كتاب الله وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه فيتعارض ظاهرا أو من خلفه فيتعارض باطنا. قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت:٤٢.

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء:٨٢.

سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن تفسير الفاكهة والأبّ في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ عبس:٣١. فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم [١].

وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأها يوما على المنبر فقال: كل هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رفع عصا كانت في يده، وقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك يا ابن أمّ عمر أن لا تدري ما الأبّ. ابتغوا ما بُين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه، فَكِلوه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب من كره أن يفسر القرآن ١٣٦/٦ (٣٠١٠٧) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص٢٢٧، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٥٢/٢) نشر دار الكتب العلمية بيروت.

إلى ربه[١].

قال تعالى في بيان أن تعظيم كلام الله وخشيته وتقواه سبب في فتح الله على القلوب بالعلم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٨٢. وقال: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء:١١٣.

ومن أمثله التعارض بين العقل والنقل، بسبب عدم فهم العقل لما صح في النقل:

١- ادعاء التعارض بين نصوص المعية والاستواء، وأن الله في السماء، كما زعم كثير من الأشعرية قديما وحديثا. قال الشيخ طه عبد الله عفيفي: (وليت شعري أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر؟ فيقولون: إن الله في السماء بمقتضي قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ الملك: ١٦. أم على العرش بمقتضي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. أم في الأفاق بمقتضي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد:٤)[٢].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في كتاب فضائل القرآن (٤٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن ، باب من كره أن يفسر القرآن ١٣٦/٦ (٣٠١٠٥)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٥٥٩/٢ (٣٨٩٧) ، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص ٩٩ .

وقد وهم الشيخ طه حين ظن أن ظواهر النصوص في حق الله هي صورة الإنسان في كيفية استوائه ومعيته وعلوه، ثم أراد أن ينفي ما توهمه حتى لا يقع في الضلال بأنواع التأويل والمجاز والخيال. وقد أبطل أبو الحسن الأشعري رحمه الله مثل هذا الزعم منذ القدم فقال:

(إن قال قائل:ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به.. فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: أأمنتم من في السماء. لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: أأمنتم من في السماء. يعني جميع السماوات. وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: وجعل القمر فيهن نورا. ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، وأنه فيهن جميعا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله ﷻ على العرش، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ،كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض) [1].

قال أبو عمر الطلمنكي: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد:٤. ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته مستو على عرشه

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص ١٠٥، نشر دار الأنصار.

كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز) [(١)].

وقد جمع القرآن الكريم بين المعية والاستواء، وأن الله يعلم ما في الأرض والسماء في آية واحدة، فليس ثمة تعارض يذكر بين النصوص، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾ الحديد:٤.

٢- ادعاء كثير من المستشرقين وأتباعهم من العلمانيين تعارض حديث الذباب مع العقل الصريح، وهو حديث صحيح رواه البخاري من حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ، فَليغْمِسْهُ كُلهُ، ثمَّ ليطرَحْهُ؛ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً) [(٢)].

وقد بان على لسان الغربيين أنفسهم وظهر أنه من معجزات النبي ﷺ الطبية التي يجب أن يسجلها له تاريخ الطب بأحرف ذهبية؛ وذلك لذكره عامل المرض وعامل الشفاء محمولين على جناحي الذبابة، قبل اكتشافهما بأربعة عشر قرنا، وذكره لتطهير الماء إذا وقع

---

(١) انظر العلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٤٦، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/٢٦٠، ومعارج القبول للحكمي ١/٢٠٠.

(٢) رواه البخاري في الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء ٥/٢١٨٠ (٥٤٤٥).

الذباب فيه، وتلوث بالجراثيم الموجودة في أحد جناحيه، فما علينا إلا أن نغمس الذبابة في الماء لإدخال عامل الشفاء الذي يوجد في الجناح الآخر، الأمر الذي يؤدي إلى إبادة الجراثيم الموجودة بالماء.

وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة الأسرار الغامضة التي في هذا الحديث، فهناك خاصية في أحد جناحي الذباب هي أنه يحول البكتريا إلى ناحية منه، وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب، أو طعام، وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب أو الطعام، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم، وأول واحد منها هو مبيد البكتريا، يحمله الذباب في أحد جناحيه.

٣- ادعاء بعض المستشرقين التعارض بين آيات القرآن في إثبات الهداية للنبي ﷺ ونفيها عنه. فقال الله مرة في إثباتها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ الشورى:٥٢.

وقال مرة أخرى في نفيها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ القصص:٥٦.

ومعلوم أن الهداية المثبتة للنبي ﷺ هي الهداية الشرعية التكليفية الدينية، وهي هداية البيان والدلالة والإرشاد لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وأما تلك الهداية المنفية عن النبي ﷺ فهي الهداية الكونية التي قدرها الله لمن شاء قبل خلق السماوات والأرض، وكتبها في اللوح المحفوظ إظهارا لقدرته، وأخفاها عن سائر الخلق إظهارا لحكمته، فلا يعلم عنها ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

٤- ادعاؤهم التعارض في ضرب الأمثال لله، فمرة نجد القرآن يمنع ضرب الأمثال في حق الله فيقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ النحل:٧٤. ومرة أخرى يذكر المثل في حق الله فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ الروم:٢٧. وكذلك ما ورد في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ النحل:٦٠.

ومعلوم أن هذا التعارض سببه عدم فهم العقل للنقل، فالمثل الذي لا يجوز ضربه في حق الله هو قياس التمثيل والشمول، وأما الجائز فهو قياس الأولى.

قال ابن تيمية: (العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده؛ فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء؛ فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل تحت قضية كلية تستوي أفرادها. ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلي اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة

والاضطراب، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها، ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولي، سواء كان تمثيلا أو شمولا كما قال تعالي: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ النحل:٦٠. ومثل هذه الطرق، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب، كما استعمل نحوها الإمام أحمد، ومن قبله وبعده من أئمة أهل الإسلام، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في مسائل التوحيد والصفات والمعاد ونحو ذلك)[(١)].

٥- وقد زعم الفيلسوف ابن رشد أن أدلة السمع، أو أدلة النقل الصحيح متعارضة، واحتج على ذلك بذكر الحسنة والسيئة في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ النساء:٧٨/٧٩.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته، هؤلاء يقولون الأفعال كلها من الله، لقوله تعالى: قل كل من عند الله. وهؤلاء يقولون: الحسنة من الله، والسيئة من نفسك، لقوله: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك. وقد يجيبهم الأولون بقراءة مكذوبة: فمن نَفْسُكَ؟ بالفتح

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٢٩، نشر دار الكتب العلمية بيروت .

على معنى الاستفهام. وربما قدر بعضهم تقديرا: أي أفمن نفسك؟ وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى: ما أصابك. فيقولون: تقدير الآية: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا. فيحرفون لفظ القرآن ومعناه، ويجعلون ما هو من قول الله قول الصدق من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم، ويضمرون في القرآن ما لا دليل على ثبوته، بل سياق الكلام ينفيه، فكل من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي تنصره [(١)].

وأما القرآن فالمراد منه بالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصي. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ آل عمران: ١٢٠. وكقوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ التوبة: ٥٠/٥١.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ الأعراف: ١٦٨. كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الأنبياء: ٣٥. أي بالنعم والمصائب[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/١١٠.

(٢) السابق ٨/١١١.

وهذا بخلاف قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ الأنعام: ١٦٠.

وأمثال ذلك، فإن المراد بها الطاعة والمعصية، وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ، فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال، بل هو مبين، وذلك أنه إذا قال: ما أصابك، وما مسك، ونحو ذلك، كان من فعل غيرك بك، كما قال: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وكما قال تعالى: إن تصبك حسنة تسؤهم، وقال تعالى: وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم [(١)].

وإذا قال: من جاء بالحسنة، كانت من فعله، لأنه هو الذي جاء بها، فهذا يكون فيما فعله العبد، لا فيما فُعل به، وسياق الآية يبين ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد، وذم المتخلفين عنه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ٧١ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣﴾ النساء: ٧١/٧٣ .

فأمر سبحانه بالجهاد، وذم المثبطين، وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه، وتارة من فضل الله فيه، كما أصابهم يوم أحد مصيبة فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ

(١) السابق ٨/١١٢.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ آل عمران:١٦٥. وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأييده، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ ﴾ آل عمران:١٢٣.

ثم إنه قال: ﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ .. إلى قوله تعالى .. أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾ النساء:٧٤/٧٨.

فهذا من كلام الكفار والمنافقين، إذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا: هذا من عند الله، وإن أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا: هذا من عند محمد، بسبب الذي جاء به، فإن الكفار يضيفون ما أصابهم من المصائب إلى فعل أهل الإيمان. وقد ذكر نظير ذلك في قصة موسى عليه السلام وفرعون. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ ﴾ الأعراف:١٣٠. ونظيره قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ ﴾ يس:١٨. فأخبر الله تعالى، إن الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين، فإذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب أهل الإيمان، وما أصابهم من الخير جعلوه لهم من الله عز وجل فقال تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ النساء:٧٨ .

والله تعالى نزل أحسن الحديث، فلو فهموا القرآن، لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، أمر بالخير، ونهى عن الشر، فليس فيما بعث الله به رسله ما يكون سببا للشر، بل الشر حصل بذنوب العباد، فقال تعالى: ما أصابك من حسنة فمن الله. أي ما أصابك من نصر ورزق وعافية، فمن الله نعمة أنعم بها عليك، وإن كانت بسبب أعمالك الصالحة، فهو الذي هداك، وأعانك، ويسرك لليسرى، ومن عليك بالإيمان، وزينه في قلبك، وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان [1].

---

(١) السابق ١١٣/٨.